مقدمة

الدراسة والتحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربى وأستعينك وأستهديك ، وأصلى وأسلم على خاتم أنبيائك ورسلك سيدنا محمد .

وبعد :

فقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة .

واستجاب المؤمنون لله وللرسول ، فاستقبلوا وحى ربهم بآذان مفتوحة وقلوب واعية ، فسمعوا ، وفهموا ، وحفظوا ، وعملوا ، ثم بلغوا العلم إلى من يلونهم ، متبعين فى ذلك منهج النبى ﷺ فى التعليم ، وهو المنهج الأكمل والأتم ، والذى ظهرت به آثار العلم النافع فى المتعلمين، وبرز من عملاء هذه الأمة من رصد معالم هذا المنهج ، ودونها ، حتى جاء الخطيب البغدادى فوسع النظرة وعمقها فيما حصله من علم غزير ، ونسج هذه النظرات فى مؤلفات اقتربت من المائة .

ومن هذه المؤلفات كتاب « الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع » ، خَصّص النظرة فيه إلى موضوع واحد هو موضوع الأخلاق والآداب التى ينبغى أن يتحلى بها الطالب عند تلقيه ، والراوى عند أدائه .

وتمتد هذه النظرة إلى رسول الله ﷺ ، فهو الميزان الأكبر الذى تُقاس به الأخلاق. والآداب، فَذَكَر الخطيب من أخلاقه وآدابه، وطريقته فى التعليم والتربية ـ خير ما يُقَدّم للطالب والراوى ، كما استأنس الخطيب فى تلك النظرة بهدى أصحاب النبى ﷺ ، والتابعين ، ومن جاء بعدهم من العلماء الصالحين .

ونظم هذا فى كتابه بتبويب محكم، وتفصيل دقيق، وقدمه بأسلوب عذب رصين. فصار مرجعًا أساسيًا لكل من أراد أن يتحدث فى موضوع الأخلاق والآداب عند العلماء والطلاب ؛ لأنه فريد ومتكامل فى موضوعه ؛ ولذلك ترى نصوص هذا الكتاب فى كتب الأقدمين والمحدثين ، فعجبت كيف يكون هذا شأن الكتاب ، ويظل حبيس دار الكتب إلى الآن ؟ !

وإذا كان علماء الحديث هم الذين يعرفون هذا الكتاب ويأخذون منه ، فلماذا لا

يكون محققًا مطبوعًا ، يستطيع قراءته كل مسلم يريد أن يتحلى بالأخلاق والآداب فى تعلمه وتعليمه ، بل وفى حياته بصورة عامة ؟

وإذا كان لدى الباحثين فى علم النفس ـ الآن ـ فرع يسمى بعلم النفس التعليمى يقوم على استقراء أحوال المتعلمين والمعلِّمين ، فى قاعات الدرس ، ويسترشد الباحثون فى ذلك بنظريات ليست إسلامية فى مناهجها وغايتها .

فكيف يكون الحال لو وقف المتخصصون فى ذلك على استقراء الخطيب لعملية التعليم والتعلم فى القرون الأربعة الأولى ، مسترشداً فى استقرائه هذا بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ ؟

من أجل هذا استخرت الله تبارك وتعالى فى تحقيق هذا الكتاب فشرح الله صدرى لهذا العمل ، وعرضت هذا الأمر على شيخى وأستاذى الدكتور عبد المجيد محمود فشجعنى عليه ، ووجهنى إلى الخطة الرشيدة فى ذلك .

فقسمت البحث إلى قسمين ، جعلت القسم الأول للدراسة وتناولت فيه أربعة فصول :

الفصل الأول :

التعريف بالمؤلف ، ومؤلفاته ، تكلمت فيه عن اسم المؤلف ، ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، وطلبه للعلم ، ورحلاته ، والرواة عنه ، وصفاته (طالبًا وشيخًا) ، ومذهبه، ثم تكلمت عن مؤلفاته ، وذكرت فيها سبعة وثمانين مؤلفًا ، وبينت المطبوع منها والمخطوط ، وموضوع كل كتاب .

الفصل الثانى :

وجعلته فى تحقيق عنوان الجامع ، ونسبته إلى مؤلفه وموضوعه ، وحققت فى التغاير اليسير فى الألفاظ (والذى ذكر عند العلماء) لعنوان الجامع ، كما حققت نسبة هذا الكتاب إلى الخطيب ، كما بينت الموضوع الذى يتضمنه كتاب الجامع .

الفصل الثالث :

علم مصطلح الحديث قبل الجامع ، وذكرت فيه جهود العلماء قبل الخطيب فى خدمة السنة المطهرة ، وتأصيلهم لقواعد مصطلح الحديث ، وعرفت بالكتب التى جمعت هذه الدراسات الطيبة .

الفصل الرابع :

مقارنة بين الجامع ، وما قبله ، وما بعده من مؤلفات ، واخترت لهذه المقارنة كتاب المحدث الفاصل للرامهرمزى ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ،وأخلاق العلماء للآجرى ، وهى كتب تسبق الجامع ، وكتاب الإلماع للقاضى عياض ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ، وهما بعد الجامع ، كما جعلت أساس المقارنة فى العناصر الآتية :

١ ـ آداب الطالب فى نفسه .
٢ ـ آداب الطالب مع شيخه .
٣ ـ آداب الطالب مع رفقته .
٤ ـ منهج الطالب فى التلقى .
٥ ـ أخلاق الراوى فى نفسه .
٦ ـ أخلاق الراوى مع طلابه .
٧ ـ منهج الراوى مع طلابه .
٨ ـ الكتب وما يتعلق بها .

وقدمت لهذه العناصر بذكر الوصايا المشتركة عند أصحاب هذه الكتب .

وحرصت على ذكر أقوال أصحاب هذه الكتب فى العناصر السابقة ؛ لإبراز هذه الجهود الطيبة فى عملية التعليم .

ولما خشيت أن تزيد مساحة هذا الفصل أكثر من ذلك اكتفيت فى كثير من المواضع بالإشارة إلى آرائهم ، ثم الإحالة إلى مواضعها من كتبهم .

وأما أقوال الخطيب فحاولت أن أثبت أكثرها لاعتبار آخر يضاف إلى المقارنة ؛ وهو أن يكون لدى القارئ إلمام إجمالى بآراء الخطيب المبثوثة فى هذا الكتاب الجامع .

وجعلت القسم الثانى للتحقيق ، والتعليق ، فذكرت وصفًا لمخطوطات الجامع التى اعتمدت عليها فى التحقيق ، وذكرت الرموز التى استخدمتها لكل نسخة من النسخ الثلاث ، وذكرت ملاحظاتى على هذه النسخ ، وقابلت النسخ ، ورصدت ما فيها من وجوه الاتفاق ، والاختلاف ، وأثبت النص الصحيح للكتاب .

وأضفت إلى الكتاب كلمة (المقدمة) فى أوله ، وكلمة (مبحث) فى كل عنوان أدرجه الخطيب تحت أبواب الكتاب ، كما بينت بداية كل صفحة من النسخ الثلاث ، وذكرت المواد من الاختصار المتبع فى الكتاب مثل « نا » ، « أنا » وأبقيت على هذا الاختصار .

وذكرت مواضع الآيات القرآنية الكريمة من كتاب الله تعالى ، وخرجت أحاديث الكتاب ، وذكرت رتبة كل حديث ، وعلقت على آراء المؤلف .

وختمت هذا البحث بخاتمة لخصت فيها ما توصلت إليه من نتائج ،وقدمت ما اقترحته بعد معايشتى للخطيب فى جامعه .

وكانت مراجعى فى (الدراسة ، والتحقيق ، والتعليق) كتب الحديث ومصطلحه، وكتب الرجال ، والطبقات ، وكتب الجرح والتعديل ، وكتب الموضوعات ، وكتب التفسير ، وكتب المعاجم ، وكتب التاريخ ، كما كانت لكتب الخطيب البغدادى المكانة البارزة فى ذلك . وقد ذكرت فى مكانها من البحث ، وأثبتت فى قائمة المراجع .

ولا يخفى ما فى عملية التحقيق من متاعب ، ولكنها متاعب ممتعة عندما يصاحبها العيش فى رياض السنة المطهرة ، والتنقل بين مجالس العلماء ، وعندما تكون الغاية هى إخراج كتاب نافع للناس كالجامع .

وأسال الله أن يغفر لى ما زل قلمى فيه ، وأن يجعله عملاً متقبلاً عنده . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه ، ومن سار على سنته إلى يوم يبعثون .